الحجاج في الإمتاع والمؤانسة والمقابسات لأبي حيان التوحيدي

1- تمهيد:

يندرج هذا العمل في سياق دراسة خصائص الحجاج في نصوص الإمتاع والمؤانسة والمقابسات لأبي حيّان التوحيدي وليست الغاية الإلمام بتفاصيل هذا المبحث إنما محاولة لتقديم بعض ما قيل في الحجاج من منظور ثلّة من الدارسين في مستوى المفهوم والأغراض و الأنواع والأنساق مع تبيان أنواع الحجج من جهة التناول النظري ثمّ الاهتمام ببعض خصائص هذا الخطاب في نصوص من الإمتاع والمقابسات وتجدر الإشارة إلى أنّ الإيجاز في تناول هذا المبحث عائد إلى ضرورة تكييفهمع ما يحتاجه الأستاذ مدرّس سنوات الرابعة آدابا من جهة وقصر الجهد على جمع المادّة وتبويبها و الربط بين الأفكارفقط من جهة أخرى.

2- الحجاج : مدخل نظري:

نعرض في البدء مساهمة الأكاديمي الراحل عبد الله صولة في مؤلَّف «أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم » بعنوان الحجاج " أطره و منطلقاته وتقنياته من خلال «مصنّف في الحجاج - الخطابة الجديدة " لبرلمانCh.Prelman وتيتكاه tytica حيث يعرّفان الحجاج في معرض حديثهما عن موضوع نظريّة الحجاج بأنّه الخطاب الذي «يؤدّي بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم». ويعرّفانه عند حديثهما عن غرض الحجا ج بالقول: «غاية كلّ حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان ...» وهو تعريف يثير مسائل عدّة منها:

- كيف يكون الحمل على الإذعان؟

يستنتج الباحث من كلام المؤلّفين أنّ تحقيق الاقتناع Conviction يقع في منطقة وسطى بين الاستدلال la démonstratoinوالإقناع.La persuasion ويقتضي الاستدلال أن تكون عناصر أحاديّة المعنى Univoque بحيث تكون ممّا يفهمه النّاس جميعا. والاستدلال غير مرتبط بمقام مخصوص. والاستدلال بهذه الخصائص هو نقيض الحجاج الذي يعدّ التّعدّد والاختلاف والارتباط بالمقام خصائصه المميّزة. فالحجاج «مجاله الخطابةأو هو أقرب إلى الخطابة».

وقارن الباحث بين الحجاج والجدل من جهتي النّتائج ومفهوم الحقيقة . فالنّتائج في الجدل تستنبط من مقدّمات تفضي إليها ضرورة. بينما الحقيقة في الحجاج ليست مضمونة ولا هي واحدة أو ضروريّة أو موضوعيّة كما في الاستدلال، بل هي نسبيّة وذاتيّة إلى حدّ.

ورغم أنّ الحجاج ليس موضوعيا صرفا فإنّه أيضا ليس ذاتيّا صرفا، فهو ليس إقناعا على اعتبار الإقناع مبنيا على مخاطبة الخيال والعاطفة ومصادرة إعمال العقل وحريّة الاختيار، «إذ من مقوّمات الحجاج عند المؤلّفين: حرّيّة الاختيار على أساس عقليّ» أي بواسطة الاقتناع لا الإقناع.

يقسم المؤلّفان الحجاج إلى قسمين بحسب نوع الجمهور هما الحجاج الإقناعي L'argumentation persuasive وهو موجّه إلى الجمهور الخاصّ، والحجا ج الاقتناعي L'argumentation convaincante وهو ما يحدث فيه الإذعان والتسليم بإعمال العقل.

واستنتج صولة من نظرة المؤلّفين لأنواع الجمهور وردّه إلى ما يسمّى بالجمهور العام، أنّهما « يجعلان الاقتناع وهو عقليّ دائما أساس الإذعان وأساس الحجاج، وأنّ الإقناع بما هو ذاتيّ وضيّق لا يعتدّ به في الحجاج».

- ما علاقة الحجاج بالخطابة والجدل؟

يرى المؤلّفان أنّ الباعث على الحجاج هو وجود شكّ في مدى صحّة فكرة ما .والمحاجّة تفترض أنّ هناك فكرة ينبغي تدقيقها والتّشديد عليها. غير أنّ خصوم الخطابة لا يؤمنون بوجود حقائق متناقضة يتصدّى للدّفاع عنها خطيبان مختلفان ويمكن أن يؤمن بها جمهوران مختلفان. فالخطابة ينبغي أن تكون كما يراها أفلاطون، منضوية تحت مظلّة الحقيقة. وفي هذه الحالة لا تصبح هناك حاجة إلى الحجاج.

لكنّ الفلاسفة الرّافضين لمبدأ الحقيقة الواحدة، اضطروا إلى أن يضعوا في ا لحسبان إلى جانب العقل أهواء الإنسان، فتكون غاية الحجاج عندهم التّأثير في الإدراك من ناحية وفي الإرادة (الأهواء) من ناحية ثانية.

ولذلك عقد أرسطو مصنّفين للحجاج : المواضع اعتمد مناقشة الأطروحات مناقشة نظريّة مجرّدة، والثّاني وهو الخطابة واهتمّ فيه بخصوصيّات الجماهير التي تتلقّى الخطاب.

وقد اعتبر المؤلّفان أنّ هذا التّمييز بين النوعين المذكورين من التّأثير تمييز مغلوط.

ويرى المؤلّفان أن غاية الحجاج إحداث التّأثير العمليّ الذي يمهّد له التّأثير الذهنيّ. وهما بهذا يجمعان بين جدل أرسطو وخطابته. ولذلك عرّفا الحجاج بكونه «العلاقات الجدليّة القائمة بين الفكر والعمل». وقد أدّى التّقسيم الثّلاثيّ لأنواع الخطابة كما يراها أرسطو، بعده إلى تفكّك الخطابة وألحق كلّ نوع من الخطب بمجال مختلف : المشوري بالفلسفة، والمشاجري بالجدل، والبرهاني بالأدب.

ويرى المؤلّفان أنّ النّوع البره انيّ هو واسطة العقد في فنّ الإقناع، إذ يسعى إلى إحداث الإجماع حول بعض القيم التي يقول بها الجمهور. ويكون فيه استخدام كلّ طرائق فنّ الأدب جائزا.

وغايته مجرّد إنشاء الاستعداد للعمل، في حين أنّ النّوعين الآخرين المشوري والمشاجريّ غايتهما الانتهاء إلى العمل وإنشاؤه.

وبهذا أمكن للمؤلّفين أنْ يوحّدا كيان الخطابة الذي توزّعت أجزاؤه بين الفلسفة والجدل والأدب. ولمّا كان الحجاج عندهما حملا على الاقتناع أوّلا وعملا في ضوء ذلك الاقتناع ثانيا، فإنّه صار جامعا بين البرهانيّ والمشاوريّ والمشاجريّ فبُعثت الخطابة من رميمها في ثوب جديد هو الحجاج .

فهل يعني هذا أن الحجاج هو الخطابة عينها؟

الحجاج عند المؤلّفين غير الخطابة، يختلف عنها من جهتين:

- نوع الجمهور: جمهور الخطابة هو الجماعة المجتمعة في السّاحة تستمع إلى الخطيب. وجمهور الحجاج يمكن أن يكون عامّا حاضرا أو غائبا، ويمكن أن يكون الحجاج بين المرء ونفسه.

- نوع الخطاب: الخطاب في الخطابة شفويّ بينما في الحجاج يكون منطوقا كما يمكن أن يكون مكتوبا بل إنّ المؤلّفين يلحّان على المكتوب.

إنّ للخطاب الحجاجيّ تقنياته القائمة في جوهرها على زوج الفصل Dissociation والوصل Liaison الحجاجيين.

ولكن للخطاب الحجاجيّ قبل أن يستوي كيانا مشكّلا من تقنيات حجاجيّة، منطلقات حجاجية، مدارها مقدّمات هي من قبيل المسلّمات عند الجمهور.

●مقدّمات الحجاج والموافقة عليها:

هي المقدّمات المتعلّقة بالقضايا التي منها يكون الانطلاق, فهي نقطة انطلاق الاستدلال، ومنها:

- الوقائع: تمثّل ما هو مشترك بين عدّة أشخاص أوبين جميع النّاس . والوقائع لا تكون عرضة للدّحض أو الشّكّ وهي تشكّل نقطة انطلاق ممكنة للحجاج.

-الحقائق:أنظمة تقوم على الرّبط بين الوقائع. ومدارها على نظريات علميّة أو مفاهيم فلسفيّة أو دينيّة وقد يعمد الخطيب إلى الرّبط بين الوقائع والحقائق؛ ليحدث موافقة الجمهور على واقعة معيّنة غير معلومة.

- الافتراضات :تحدَّد الافتراضات بالقياس إلى ما هو عاديّ أو محتمل، رغم أنه متغير بتغير الحالات. ولذلك لا يكون الإذعان لها والتسليم بها قويّا ما لم تستند في مسار الحجاج إلى عناصر أخرى تقوّيها.

- القيم: عليها مدار الحجاج، وهي نوعان: مجرّدة من قبيل العدل والحق، ومحسوسة من قبل الوطن والكنيسة.

- الهرميّات: تخضع كلّ قيمة إلى هرميّة مّا فالجمال درجات والقبح درجات . وبين القيم هرميّة مّا فالعدل أفضل من النّافع، وهذه هرميّة مجرّدة. وبين المحسوسات هرميّة ما فالإنسان أعلى درجة من الحيوان مثلا . وهذه من قبيل الهرميات الماديّة المحسوسة. وإنّ هرميّة القيم في البنية الحجاجيّة أهمّ من القيم نفسها . وما يميز كلّ جمهور ليس القيم التي يسلّم بها بقدر ما يميّزه ترتيبه إيّاها.

- المعاني والمواضع :هي مقدّمات أعمّ من القيم والهرميات وتسمّى المعاني. وهي عبارة عن مستودعات للحجج. وهي من الطّرائق التي يستخدمها الخطيب طلبا للتّصديق.

ويمكن ردّ المقدّمات إلى نوعين اثنين: نوع مداره الواقع وهو المتّصل بالوقائع والحقائق والافتراضات، ونوع مداره المؤْثَرُ والمفضّل وهو المتّصل بالقيم وهرميّاتها.

●اختيار المعطيات أو المقدّمات وكيف يتمّ جعلها حِجاجيّة؟

لابدّ للخطيب أن يختار من بين المقدّمات المتاحة ما يناسبه، ويجعلها ذات فاعليّة حجاجيّة. ويقع هذا الاختيار على أساس نوعيّة الجمهور المتلقّي للحجاج. ومن وسائل الانتقاء وسيلة الحضور ويتمّ ذلك باستحضار العنصر المنتقى للمحاجّة وإبرازه أمام أعين المخاطبين وفي أذهانهم.

●طريقة عرض المقدّمات وشكل الخطاب:

«إنّ نجاعة العرض شرط ضروريّ لكلّ محاجّة هدفها التّأثير في جمهور السّامعين بتهيئتهم للعمل المباشر سلوكا وبتوجيه أذهانهم وجهة معيّنة فكرا»

ومن طرائق العرض الحجاجيّ للخطاب الإيجاز في مواضع الإيجاز » فلا يعرض من المقدّمات ما هو معلوم لدى السّامعين فقد يبدو ذلك ثقيلا على أنفسهم» والإطناب الذي يُحدث لدى السامعين الانفعالَ ويحرّك عواطفَهم. ومنها أيضا «اعتماد التّكرار لإبراز شدّة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتّأثير بها». وأيضا، كثرة الإشارات إلى الدّقائق والرّقائق المتعلّقة بالموضوع تكثيفا لحالة الحضور التي يريد المحاجّ أن يطبع بها الموضوع في أذهان السّامعين .ومهما يكن من أمر فإنّ عرض المعطيات ينبغي أن يكون فيه المقال مطابقا للمقام من أجل حجاج ناجع ناجح معا.

◄ أهمّ ما جاء به هذا الكتاب هو اعتبار الحجاج «حوارا» بين الخطيب وجمهوره .وليس هو استدلالا شكليّا ولا هو مغالطة أو مناورة وتلاعبا بالمشاعر والعقول.

على أن الحجاج مثلما أنه ليس موضوعيا محضا فإنه ليس ذاتيا محضا؛ ذلك أن من مقوماته حريّ الاختيار على أساس عقلي ، وعلى صعيد آخر يمكن القول بأن الحجاج في ارتباطه بالمتلقي يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له، ومن ثم سيكون فحص الخطابات الحجاجية المختلفة بحثا في صميم الأفعال الكلامية وأغراضها السياقية ، وعلاقة الترابط بين الأقوال والتي تنتم ي إلى البنية اللغوية الحجاجية، و سيكون الحجاج مؤطرا بالخاصية اللسانية الشكلية ،وليس بالمحتوى الخبري للقول الذي يربط القول بالمقام ،ولما كان الأمر كذلك فإن تركيز التداولية ينصب على العلاقات الترابطية بين أجزاء الخطاب والأدوات اللسانية المحققة له، وم ن خصائص الخطاب الحجاجي الذي يميّزه عن البرهان أو الاستنتاج إمكان النقض أو الدحض مما يجعل من إمكانية التسليم بالمقدمة المعطاة أمرا نسبيا بالنسبة إلى المخاطب.

إن القول اللغوي ينجز في ظروف معيّنة قصد التأثير في المتلقي مستعملا وسائل لغوية موجهة للخطا ب نحو غاية معينة ، وبالتالي سيكون من الوجيه أن يميز بين الحجاج (argumentation)،والبرهان (démonstration) فالحجاج ليس خطابا برهانيا منطقيا وعقليا بالأساس - كما يتصور البعض- يقتضي البرهنة على صدق قضية ما مثلما هو الأمر في الاستدلال المنطقي (syllogisme)وإنما هو خطاب لغوي طبيعي عادي احتمالي في نتيجته التي يتوصل إلى معناها بالتأمل في البنية اللغوية ،ووسائل الربط المقيدة للحجج والمنسقة بينها ،إن ما يفرق بينهما كونه (الحجاج) مؤسسا على بنية قوليّة لغوية متسلسلة داخل نص ما لا على مقتضى الأقوال المنطقية التي ينشغل بها النص الفلسفي الاستدلالي .

● **القيمة الحجاجية:** ما الفعل الحجاجي إلا نوع من الأفعال الإنجازية التي يحققها الفعل التلفظي في بعده الغرضي ، كما أضيف إليه مفهوم القيمة الحجاجية التي تعني نوعا من الإلزام في الطريقة التي يجب سلوكها لضمان استمرارية ونمو الخطاب حتى يحقق في النهاية غايته التأثيرية ، وتشير من ناحية ثانية إلى السلطة المعنوية للفعل القولي ضمن سلسلة الأفعال المنجزة لتبليغ فكرة ما إلى المتلقي.

● **الحجاج الخاطئ:** يبنى هذا النوع على المغالطة في تقديم الحجة، ويعبر عنه باللغة الفرنسية بمصطلح (paralogisme) المتكون من جزأين هما para ونعني به خاطئ و logisme بمعنى الحجة . إن الحجاج الخاطئ يقدم على المقايسة الواهمة ،كما تسبب في حدوثه عيوب بنيويّ أثناء تأسيس المحاججة كالمصادرة على المطلوب ،أو الأخطاء الناجمة عن تعدد الأسئلة ،ففي كثير من الأحيان يصدر الخطاب عن تمويه في صورة مقدمات وهمية كاذبة،إما شبيهة بالحقيقة لكنها غير ذلك ،أو شبيهة بالمشهور دون أن تكون كذلك أيضا ،إذ يشمل هذا النوع من المغالطة الحجاج بالسلطة،ومن أنواع الحجاج الخاطئ أيضا المغالطة المنطقية ، والمغالطة العلمية التي تشخص في تناقض أقوال المتكلم وأفعاله ,و الحجاج المبني على التناقض الإثباتي،ومن أدوات الحجاج اعتماد التهديد والترهيب كأسلوب للإقناع الخطابي في النصوص الدينية والسياسية ، ويمكن أن نجد لهذا النوع من الإقناع الذي ينحو منحى استسلاميا أمثلة متعددة في الخطابة العربية . هذا ويمكن الحديث على أنواع أخرى للحجج منها:

- حجة التبرير l'argument de gaspillage ، وأداتها "بما أن "

- حجة الاتجاه direction ،وغرضها التحذير من انتشار شيء ما .

- الحجة التواجدية، تبنى على علاقة الشخص بعمله، ويمكن أن نمثل لها بقوله (ص) :" من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" إذ يكن أن نقول بأن المتعلم كشخص في جوهره ليس فضوليا ،وعمل ترك ما لا يعنيه من تجليات حسن الإسلام.

- الحجة الرمزية: للرمز قوة تأثيرية في الذين يقرون بوجود علاقة بين الرامز والمرموز إليه كدلالة العلم في نسبته إلى وطن معين ، والهلال بالنسبة إلى حضارة الإسلام ،والصليب بالنسبة إلى المسيحية ،والميزان إلى العدالة .

- المثل: إنّ الغاية من اعتماده حجاجيا هو التأسيس للقاعدة ، والبرهنة على صحتها .

- الاستشهاد: غايته توضيح القاعدة ،وتكثيف حضور الأفكار في الذهن ، وربما كان الاستشهاد أداة لتحويل القاعدة من طبيعة مجردة إلى أخرى محسوسة ، ولعل القرآن الكريم فيما يقدم لنا من أمثلة حجاجية أهم مصدر لهذه الأشكال الحجاجية ، على

أن العناية بالاستشهاد القائم على التمثيل مقيد بجملة من القيود لعل أهمها؛ عدم إطنابه،ومن الحجج المعتمدة أيضا المعطيات العددية الناتجة عن الإحصاء.

●نظرية السلالم الحجاجية:

تطرح هذه النظرية تصورا لعمل المحاججة من حيث هو تلازم بين قول الحجة ونتيجتها، لكن قول الحجة والنتيجة في تلازمها تعكس تعددا للحجة في مقابل النتيجة الواحدة على أن هناك تفاوتا من حيث القوة فيما يخص بناء هذه الحجج، كما أن الحجج قد تنتمي إلى قسم واحد كقولنا : الطالب مجتهد (ن) فقد نجح في المسابقة بامتياز (ق1) وتحصل على جائزة الجامعة (ق2) .

- أهمية نظرية السلالم الحجاجية : إن مفهوم السلم الحجاجي في الخطاب من حيث تركيزه على مبدأ التدرج في توجيه الحجج يبين أن المحاجة اللغوية لا ترتبط بالمحتوى وإحالة هذا المحتوى على مرجع محدد بل هي رهينة القوة والضعف الذي ينفي عنها الخضوع لمنطق الصدق والكذب ،ومما تجدر الإشارة إليه أن المتكلمين يختلفون في بناء منظومة السلالم إذ أنها متّسمة بالخصوصية والذاتية، فالبعض يلخص موقف خصومه، والبعض الآخر يدمجه في برهانه ويتبناه مؤقتا ،وتخضع نظرية السلم الحجاجي عند ديكرو إلى قانوني النفي والقلب ، فالأول يعني أن نفي حجة الرأي الأول هي حجة للرأي المخالف، وأما الثاني فيعني كون السلم الحجاجي للأقوال المثبتة هو عكس السلم الحجاجي للأقوال المنفية.

- المبدأ الحجاجي : يشير إلى المسلمات والأفكار السائدة اجتماعيا ، والتي تضمن ترابط الحجج والنتائج في الخطاب مع التصديق بصحتها واقعيا فالكل يعتقد بأن العمل يؤدي إلى النجاح وهبوط درجة الحرارة يؤدي إلى نزول المطر ..إلخ ، و بالجملة مكن القول بأن المبادئ الحجاجية العامة تعبر عن الضمير الجمعي في رؤية العالم ، والتعارض الخطابي ناتج في الأصل عن التعارض في المبادئ الحجاجية .

3- البلاغة عند التوحيدي:

في السنوات الأخيرة، أتاحت العلوم اللسانية الجديدة للدارسين آفاقا أوسع في تناول التراث العربي القديم، فكانت هناك أعمال مميزة جمعت بين المادة الثرية الأصلية والمناهج الحديثة الدقيقة والشاملة- طبعا ويبقى الأمر نسبي- ومن بين المحاولات الجادة لقراءة التراث البلاغي العربي نجد محاولة مصطفى ناصف في كتابه " بين بلاغتين" ، والذي انتهى إلى أن البلاغة بلاغتان: " بلاغة الدعاية وكسب المخاطب واسترضائه واستمالته، وتحسين القبيح وتقبيح الحسن" ، وهي البلاغة التي لها علاقة بالخطابة والحجاج، ويمكن أيضا أن نستنتج أن البلاغة التي وردت في البيان والتبيين للجاحظ هي من هذا القبيل يقول ناصف :" كان نظام البلاغة هو نظام إدراك المنافع ودفع المضار وإحراز النجاح ... فلا غرابة إذا رأينا نظام البلاغة يقوم منذ البدء على مخاصمة الفكر الفلسفي والبحث الحر النزيه، وإعلاء نظام آخر ذي طابع عملي . ويضيف أنها بلاغة لا تهتم بحقائق الأشياء، ولكنها تهتم بالإقناع وضم الجمهور إلى جانب دون آخر، والجمهور ليسوا فلاسفة ولا أشباه فلاسفة، وإنما هم قوم من عامة الناس تؤثر فيهم الكلمة المنتقاة والأصوات الرنانة فلا يتعمقون في الأشياء كما يفعل الفلاسفة" ، وأما البلاغة الثانية فهي تميل إلى التفلسف بحيث تتعمق دراسة اللغة، اهتمت أيضا بالإعجا ز في القرآن الكريم بدراسة لغته ونظام عباراته وطريقة تركيبها . من خلال عديد الأقوال التي عثرت عليها استطيع القول إن بلاغة التوحيدي هي بلاغة مميزة وفريدة، بحيث أخذت من البلاغة الأولى التي وصفها مصطفى ناصف جمال اللفظ، وحسنه، بإحداث الإيقاع في المتلقي . وأخذت من الثانية محاولة الوقوف على حقيقة الأشياء، لذلك ولاحتوائها على ملمح من كل واحدة من تينك البلاغتين فهي خاصة.

- قلنا إن التوحيدي بوأ العقل أعلى المراتب، وأعتبر البلاغة نابعة من العقل – في الأقوال التي أوردناها سابقا – نضيف لها للتأكيد قوله:" هي الجد، وهي الجامعة لثمار العقل..." (من مناظرة التوحيدي وابن عبيد) ، ولذلك نرى التوحيدي ينبذ طريقة المتكلمين الذين يرومون الغلبة بأي شكل دون الاعتماد على العقل فطريقتهم :" مؤسسة على مكايل اللفظ باللفظ، وموازنة الشيء، إما بشهادة من العقل مدخولة ، وإما بغير شهادة منه البتة"(المقابسات)

- البلاغة عنده تعتمد أيضا اللفظ الحسن المؤثر:" أحسن الكلام ما رق لفظه، ولطف معناه، وتلألأ رونقه، وقامت صورة بين نظم كأنه نثر، ونثر كأنه نظم، يطمع مشهوده بالسمع، ويمتنع مقصوده على الطبع، حتى إذا رامه مريغ خلق، وإذا حلق أسف، أعني يبعد على المحاول بعنف ويقرب من المتناول بلطف" (الإمتاع والمؤانسة).

ويذكر المسدي أن جابر عصفور يورد تصنيفا آخر للبلاغة العربية يختلف عن الأول، " هناك بلاغتان في التراث العربي لا بلاغة واحدة، ... البلاغة الرسمية التي تعرفناها في كتب البلاغة السائدة، وهي البلاغة التي أ نتجها البلغاء والمنظرون الذين كانوا على وفاق مع الدولة... وبلاغة أخرى مقموعة في كتب البلاغة الرسمية مسكوت عنها ..." (الإمتاع)، ويمكن أن نستنتج بسهولة أن بلاغة التوحيدي هي من النوع الثاني، وندرج هما شهادة أحمد محمد الحوفي الذي يورد أنه أيقن أن التوحيدي مغبون القدر، مهضوم المكانة وأيقن انه أجدر بالدراسة والتقدير من أرباب الصناعة اللفظية الذين ذاعت شهرتهم في حياتهم وبعد مماتهم، كابن العميد وابن عباد ...، ويرى أن أبا حيان يفضل هؤلاء جميعا، ويفضل أضرابهم من كتاب الزخرف والزينة كبديع الزمان الهمذاني والحريري ... (مقدمة كتاب : أبو حيان التوحيدي للحوفي) ، ويبدوا أنه كان واعيا بمستواه الراقي ذاك، لذلك كان معتزا أيما اعتزاز بعلمه وأدبه، وكما رأينا في اتصالاته بالوزراء – السلطة الأدبية – كيف أنه لا يتورع عن الإدلاء برأيه أعجب الوزير أم لم يعجبه، خاصة ابن عباد، وفي ما يلي قول يظهر رأيه في البلاغة الرسمية ممثلة في ابن عباد :" والذي غلطه على نفسه وحمله على الإعجاب بفضله والاستبداد برأيه، أنه لم يجبه قط بتخطئة، ولا قيل له: أخطأت أو قصرت أو لحنت أو غلطت أو أخللت، لأنه نشا على أن يقال له : أصاب سيدنا، وصدق مولانا، ولله دره، ولله بلاؤه، ما رأينا مثله ولا سمعنا من يقاربه(مقدمة الحوفي).

وربما كان هذا هو الحل الذي يبين لنا تحامل شخصيات هامة عليه، واتهامه بالوضع حينا، وبالزندقة حينا آخر، - طبعا في مقابل شخصيات منصفة عادلة أدلت بشهادات تنقض الأولى-

- نختم هذه الفكرة، بالإشارة إلى أن البلاغة عند التوحيدي بلاغات: (التوحيدي وسؤال اللغة للمسدي)

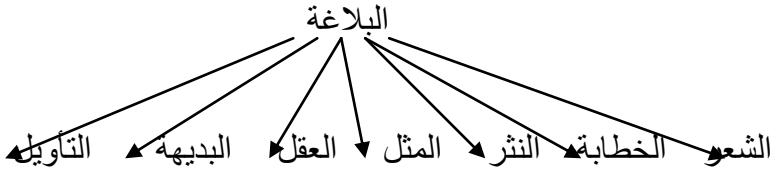

- البلاغة عند التوحيدي إذن، لها ملامح "L'argumentation" عند "Perleman"، وإن كانت تتميز عنه بملامح خاصة عربية أصيلة، وفي كل الأحوال تبقى عنوانا كبيرا لممارسات قولية عديدة فكرية راقية.

ليس الجاحظ فقط من كان يضع البلاغة والخطابة والبيان كثلاثية – نقول تجوزا- ترادفية، تقابل المصطلح الأجنبي " La rhétorique". وللتذكير نورد تعريف أرسطو لـ "La rhétorique": " الريطوريا قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة" (خطابة أرسطو) ، وهنا نقول أن "La rhétorique" في التقاليد الغربية تربط دائما بين ذلك المصطلح ومفاهيم أرسطو التي تدور عموما حول التفكير الحجاجي.

فهذا ابن الأثير يقول:" مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، لأنه لا انتفاع بإيراد الأفكار المليحة الرائقة ولا المعاني. اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها "(المثل السائر لابن الأثير). يظهر هنا: البلاغة مفهوم عام يندرج تحتها :

- الخطابة (... غرض المخاطب بها) ⟵ الإذعان.
- الجدل ....(الخصم) ⟵ الغلبة والتسليم.

وبالتالي فهي تحمل ملامح: L'argumentation بشكل عام ، وكما رأينا في الحجاج عند الغربيين فإن ماير مثلا يرى أنه ليس هدف كل حجاج إنما هو الإقناع، بل توضيح وجهات النظر والدوافع إلى إتجاه دون آخر...إلخ .

وحديثا، استمر عدم التفريق بين المصطلحات الكبرى، فتعريف الخطابة بحسب الترجمة العربية لكتاب النقد الأدبي لويليام/ك ومزات، وكليت بروكس هو : " البلاغة يمكن أن تعرف إذن بأنها ملكة اكتشاف وسائل الإ قناع الممكنة بالرجوع إلى الموضوع أيا كان" وبالنسبة لحسين الصديق يقابل "La rhétorique" بالبيان، الذي يعرفه معجم Le Grand Robert بأنه فن الكلام L'art de Parler بينما صلاح فضل يعرف البلاغة القديمة "La rhétorique" بأنها فن الكلام والكتابة الجيدين.. (بلاغة الخطاب وعلم النص لصلاح فضل)

ويدخل ضمن العمليّة الحجاجيّة: الجدل,المناظرة,الخطابة,البلاغة,البيان....

وعلى كل فالحجاج وظيفة من أهم وظائف اللغة، وإذا كان التواصل هو المهمة الأولى فإني أقول أن الحجاج هو التواصل الفعال والناجع، باعتباره يستطيع أن يحدث في الأط راف المتحاججة ضربا من التغيير (سواء على المستوى الفكري أم العملي السلوكي...) .

• ملاحظة: يبدو أن تسمية la rhétorique بالبلاغة، هو من باب تسمية الكل (الخطابة) بأحد أجزائه، طبعا جزؤه المهم والمميز، فلكل أمة مميزاتها وخصوصياتها المناسبة لظروفها الحياتية ولشعوبها وطبيعتها، ولذلك يكون الإبداع والإضافة من جنس ما برع فيه كل قوم، والعرب لم يبرعوا في شيء أكثر من البيان حتى أن القرآن الذي هو معجزة من جنس نبوغهم أشار إلى بلاغتهم وتمكنهم من ذلك . وعلينا هنا أن نلح على فكرة هامة : هذه البراعة لم تكن على مستوى الكلام فقط (Performance) إنها تعكس فكرا وعقلا خاصا ومميزا، وبالتالي سيكون من الجحود والنكران جدا، أن ننسب كل الثمار الخصبة في ثقافتنا العربية الإسلامية إلى اليونان وإلى أرسطو.

ويمكن أن نجمع أشكال الحجاج في المخطط التالي، والذي هو شبه استنتاج لكل ما تقدم:

الحجاج
L’argumentation

يفترض طرفين، ولكن ليس مهما عدد المقول إليهم
قد يكون فردا واحدا، أو جماعة محددة العدد أو غير محددة

الطرف (أ)
يأخذ صفته من العمل الحجاجي الذي يؤديه: مجادل- مناظر، مخاطب، محاجج...إلخ

الطرف (ب)
قد يكون

ينتج عن تقابلهما

حوار
Dialogue

حقيقي

مفترض

من أهم

- الصحافة
  - المكتوبة
  - المسموعة
  - المرئية
- الدعاية
- الإشهار

ويبقى القرآن الكريم الدعوة الخالدة و الأزلية لكل الناس على اختلاف أماكنهم و أزمانهم

سلبيا كما يقول
سيريل المتلقي لا يشارك فعلا

- خير ما يمثله:
- الخطابة/ البلاغة
- La rhétorique
- الخطابة الجديدة أي
La nouvelle rhétorique
L’argumentation
- لبرلمان

مظاهره قد يكون ايجابيا يتواجه الطرفان فعلا

- هادئ
  - مناقشة
  - Discussion
  - محاورة
  - مقابسة
- حاد غايته الغلبة
  - المماحكة
  - المجادلة المذمومة
  - المساجلة
  - المماراة
  - المحاججة المذمومة
  - المنازعة
  - المناظرة عمليا
  - dé batre
- حاد غايته إظهار الصواب
  - المجادلة المحمودة (مثل مجادل الباقلاني للمسيحيين، أو منظرة علماء الدين الإسلامي للملحدين...)
  - المحاججة المحمودة
  - المنظرة لغتا واصطلاحا

يختلف الهدف بين تحقيق

- الاستمالة التلاعب بالمشاعر
- الإقناع
- الاقتناع
- اليقين= يحققه البرهان. وهو أعلى درجات الحجاج. ولا يهم في صف من ظهر.

4- مظاهر انعكاس العقل على البنية:

• أسلوب التوحيدي ولغته:

- **أسلوبه**: تجلّى احتفاء التوحيدي بالعقل في مستوى الأسلوب من خلال القرائن التالية:

* كثافة حضور الاستفهام والاسئلة والمسامرات مثال (ما الحلم؟ ما الجسد؟ ما الشجاعة؟ ما الرغبة ؟ ...)وهو أسلوب ساهم في تأسيس ليالي الإمتاع والمؤانسة . يقول زكريا إبراهيم :"التوحيدي فيلسوف التساؤل,لأنّ لديه روحا تساؤليه تعشق الجدل ولا تكاد تكفّ عن إثارة السؤال تلو السؤال"

* حرص التوحيدي على التوسّع والإطناب والتنقيب والاستقصاء والشرح المستفيض والتفصيل للفكرة أو المسألة الواحدة (حديث أبي حيان عن النفس في الجزء الأوّل)

* التدقيق في بعض المسائل لنزع الشبهة وضمان الدقّة : مثال لمّا سأله الوزير ابن سعدان عن الفرق بين تفعال (التاء ملكسورة) وتفعال (التاء مفتوحة) قال له التوحيدي " المصادر كلّها على تفعال بفتح التاء وإنما تجيء تفعال التاء مكسورة في الأسماء."

* توافر أسلوب التعليل : فكثيرا ما يقدّم التوحيدي الفكرة ثمّ يفصّل النظر فيها تفصيلا تعليليا. مثال لمّا سأله الوزير" ما الفرق بين الإرادة والحياة" قال أبو حيّان :"كلّ مراد مختار وليس كلّ مختار مراد"

* استعمال مفاهيم علميّة ومصطلحات فلسفيّة وعبارات تجريديّة مثال :الرّوح ,الحقيقة,الهيولي الصّورة ....

* أسلوب التوليد السقراطي وذلك من خلال الانتقال من البسيط البديهي إلى المركّب المعقّد ومن خلال الانطلاق من معنى رئيسي ثمّ الشرح التفصيلي ,تسلسل الأفكار ,توالد الأفكار ....

* تقريب المعنى بضرب الأمثال , مثال :في معرض حديثه عن الإنسان والحيوان شبّه التوحيدي الهام النحل واختياره بالهام الإنسان واختياره ثمّ آل الأمر إلى تفضيل الإلهام الإنساني .

- **لغته**: ترتبط لغة التوحيدي ارتباطا وثيقا بشخصيّته المتميّزة . فكما تميّزت شخصيّة هذا المفكّر بالتناقض فقد شاع في أسلوبه الازدواج فكتاب الإمتاع و والمؤانسة تمرّد على أسلوب السّجع وحافظ على توازن الجملة , يقول "الإنسان ذو قوّة متقاصرة وموانع معترضة, وانّه مع هذه الأحوال منتبه بالحسّ عالم بالعقل عاشق للشاهد ذاهل عن الغائب..." وقد استطاع التوحيدي أن يتحرّر من تعسّف أساليب الفلاسفة ووضع أسلوبا متوازنا لم يجعل اللفظ قصيرا فن

سحر به عن المعنى العريض فانّ اللفظ للعامّة والمعنى للخاصّة وهذا لايعني أنّه يستهين بدلالة الألفاظ بل انّه يحذّر في الاعتزاز باللفظ الذي سيطر على لغة أدباء عصره والعصور القريبة منه . لقد تحرّر التوحيدي من قيد السجع (المقامات والرسائل ...) وعوّضه بالتوازن بين الفقرات وهو ما أسماه النقّاد القدامى بالسّجع المعطّل حيث يقسّم الفقرات إلى جمل قصيرة أشبه ما تكون بالأساليب الشعريّة الحديثة يراعى في ذلك التنغيم اللفظي . وهذا ما جعل لغته جسرا بين الشعر والنثر . يقول " أحسن الكلام ما رقّ لفظه وقامت صورته بين نظم كأنّه نثر ونثر كأنّه نظم"

• أنماط الكتابة عند التوحيدي:

▪ **الحجاجي**: تنوّعت المسارات الحجاجيّة التي اعتمدها التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة ويمكن ذكر المسارات الحجاجيّة التالية:

- المسار الحجاجي البرهاني : وهو ضرب من الحجاج يقوم على البرهنة وفق انساق متعدّدة وهما النسق الاستنباطي (الانطلاق من العام إلى الخاص) والنسق الاستقرائي(الانطلاق من الخاص إلى العام)

• مثال للحجاج البرهاني الاستنباطي: انطلاق التوحيدي من فكرة الخلق الالا هي عامّة ثمّ تدرّج إلى التمييزالالاهي للإنسان بالعقل لينتهي إلى المقارنة بين الإنسان والحيوان فيرى أنّ الإنسان مفضّل على الحيوان بالعقل لأنّه يختار أفعاله بينما الحيوان غريزي .

• مثال للحجاج البرهاني الاستقرائي : انطلاق التوحيدي من ظاهرة الاختلاف بين المذاهب ليتدرّج منها إلى مظاهر أخرى في الاختلاف (الاختلاف في تفضيل الأمم والرجال والمال ...) ليخلص إلى قاعدة عامّة جوهرها أن الاختلاف ظاهرة ملازمة للإنسان ولايمكن بأي حال من الأحوال أن تزول.

- المسار الحجاجي القائم على العرض : وهو ضرب في الحجاج يقوم على أطروحة ما فتحليلها والتوسّع فيها . ومن أمثلة ذلك:

• أطروحة شروط صلاح الدنيا (نصّ متى تطيب الدنيا) : عرض التوحيدي أطروحة ديوجانس التي تقرّ بان صلاح الدنيا لا يتحقّق إلا بالتلازم بين الفلسفة والسلطة , ثمّ التوسّع بالاستدلال عليها من عرض مجموعة من الحجج تدعم أطروحة ديوجانس وتؤكّد حاجة السائس إلى الاستنارة بآراء العقلاء.

- المسار الحجاجي الحواري: وهو ضرب من الحجاج يقوم على عرض الرأي ونقيضه ويتجلّى هذا النوع من الحجاج في المناظرات والمساجلات من ذلك :

• المناظرة بين كتابة البلاغة والإنشاء من جهة وبين كتابة الحساب من جهة أخرى (نص البلاغة والحساب) فهذه المناظرة أطرافها صاحب البلاغة (التوحيدي)وصاحب الحساب (ابن عبيد الكاتب)وهي مناظرة انتهت بانتصار البلاغة وتفضيل الكتابة على الحساب.

• المناظرة بين الشعر والنثر: هذه المناظرة أطرافها راو مناصر للنثر والتوحيدي ضمنياً وراو مناصر للشعر من جهة أخرى والتي انتهت بتفضيل النثر.
• المناظرة بين النحو والمنطق والتي جرت بين مناصر النحو أبي سعيد السّيرافي ومناصر المنطق متّى بن يونس والتي انتهت إلى تفضيل النحو على المنطق في إشارة إلى أفضلية الثقافة العربيّة على الثقافة اليونانيّة.

• إن تنوّع مضامين الحجاج و مساراته من شأنه أن يولّد منطقيا تعدد الحجج و من أهمها نذكر:الحجّة الدينيّ,الحجّة الواقعية الحجّة التاريخيّ , الحجّة القولية, حجّة المشابهة, حجّة الشاهد القولي, حجّة المنطق....
▪ **الأسلوب التعليمي**: لقد خضعت مسامرات الإمتاع والمؤانسة إلى جدليّة الوزير السائل والتوحيدي المجيب . وهي جدليّة تذكّرنا ببنية الحكاية المثليّة في كتاب كليلة ودمنة أين نجد الملك دبشليم يسال والفيلسوف يجيب وهذا ما أضفى على بعض المسامرات الطابع التعليمي ومن علامات ذلك :
- توظيف الحكايات والأمثلة المعبرة لاستخلاص العبرة منها
- تفرّد التوحيدي بالإجابة مما جعل كلامه مستفيضا طويلا (عكس الحوار السجالي) وفي إشارة إلى أن التوحيدي هو صاحب الرسالة عليه أن يؤديها (الإصلاح والإرشاد)
- أسلوب التضمين هواسلوب أسلوب متواتر في نصوص الإمتاع والمؤانسة وذلك لإيصال موقف ورأي التوحيدي مع تجنب المواجهة والصدام مع ابن سعدان .
- توظيف الحجج المتنوعة لحمل الطرف الآخر على التراجع عن موقفه.
- تحوّل موقف ابن سعدان وحالته من الجهل إلى العمل وذلك في نهاية أغلب المسامرات ,يقول –أي الوزير-"ما كان عندي هذا كله"
- تواتر الأساليب الإنشائية (الأمر ,النهي ,الاستفهام ,التعجب...) التي تضفي على النص طابعا تعليميا (النصح, التحذير , التوجيه) " أما تعلم أن الرعيّة وديعة الله عند السلطان

▪ **الأسلوب السّردي** : لقد جاءت الكثير من المسامرات شكلا من أشكال الكتابة النثرية المقصودة القائمة على الأسلوب السردي . فقد هيّأ التوحيدي شروط النوع السردي فلم تكن المسامرات بعيدة الصلة عن تقاليد السرد القصصي في التراث السابق عليه. ذلك أنّ التوحيدي بدا متجاوبا مع (ألف ليلة و ليلة) و مع (كليلة ودمنة) من زاوية وجود الحكاية الإطار

التي يتولد من داخلها حكايات اقتضت بدورها تقسيم الليالي و ترتيبها. و قد تبين لنا كيف كانت عملية استرجاع التوحيدي لما دار بينه و بين ابن سعدان قائمة على السرد حتى أصبح هذا السرد بدوره إطارا خارجيا للمحاورة أو بعبارة أخرى تولدت المحاورات في داخل السرد ثمّ تولّدت المحاورة بعد ذلك من داخل المحاورة .

لقد تجاوب التوحيدي مع تقاليد القصّ السّابقة من خلال توظيفه لبنية الخبر و ما يتأسس عليه من سند و متن على شاكلة أخبار الجاحظ و التي تتوفّر فيها مقومات السّرد من أطر و شخصيات و أحداث و تداخل في أنماط الكتابة (خبر ابن يوسف و خبر المعتضد مع ابن سليمان (وننبه إلى أسلوب السرد لا يخرج عن النزعة العقلية التي توخاها التوحيدي في كتابة الإمتاع والمؤانسة فهذه الأخبار والحكايات هي بمثابة حجج واقعية تاريخية لأطروحات ضمنية . مثال : خبر ابن يوسف يمكن أن يكون هذا الخبر حجة تدعم أطروحة ضمنية هي فساد العلاقة بين الحاكم والحاشية في بلاط السلطة.

5- آليّات الحجاج في الإمتاع والمؤانسة:

أ) آليّات الحجاج البلاغيّة:

تلخيص لأهمّ ما ورد في أطروحة حسين بوبلوطة حول الحجاج في مؤلّف التوحيدي الإمتاع والمؤانسة:

كيف تمنح البلاغة لدى التوحيدي الخطاب الحجاجي بعدا اقناعيّا ؟

تتوفر الأساليب البلاغيّة على خاصيّة التحويل لأداء أغراض تواصليّة وانجاز مقاصد حجاجيّة والمتأمّل في الإمتاع والمؤانسة يجد استحواذا للصيغ البلاغيّة على القسم الأكبر من المدوّنة .

وقد استند الحجاج البلاغي في الإمتاع والمؤانسة على بنية واحدة إما باعتماده على حجّة ونتيجة أو العكس وقد تكون الحجج صريحة والنتيجة ضمنيّة.

♦ المقام: يحاول التوحيدي في كلّ ليلة استحضار مقام معيّن وذلك حسب ما يطلبه الوزير حتّى يصل التوحيدي إلى أهدافه الحجاجيّة وهي التأثير في الوزير و إقناعه من هنا نتبيّن أهميّة المقام في العمليّة الحجاجيّة .

♦ التفريع: أي تقسيم الكلّ إلى أجزاء وذلك بعرض أطروحة يتمّ التوسّع فيها بمجموعة من الحجج كلّ واحدة منها تخدم القضيّة أو الأطروحة ونجد التوحيدي في كتابه كثيرا ما يعتمد هذه الطريقة حيث يكثر الحجج للإقناع بوجاهة الأطروحة وإذا ما حذف أحدها ربّما ضعفت الأطروحة بكثرة التفصيل يكون الإقناع أوفى.

♦ التشبيه: يمكن اعتباره من آليّات الحجاج البلاغي فهو يأتي في شكل نتيجة مدعومة بواسطة مجموعة من الحجج أو يأتي حجّة لعم نتيجة .

مثال : في مناظرة متّى ابن يونس " أعني بالمنطق أنّه آلة من آلات الكلام يعرف به صحيح الكلام من سقيمه وفاسد المعنى من صالحه كالميزان يعرف به الرجحان من النقصان " فالحجّتان جاءتا مكملتين للصورة التشبيهيّة التي لا تقنع وحدها .

♦ التمثيل: التشبيه التمثيلي من حيث قدرته البلاغيّة قادر على الاستمالة والتأثير في المخاطب .

مثال :مثل أورده التوحيدي عن هيب ابن الورد " مثل عالم السوء كمثل الحجارة يقع في الساقية فلا هو يشرب الماء ولا يخلي عن الماء فيذهب إلى الشجرة" والمعنى هو أن عالم السوء لا يقدّم لنفسه ولا لغيره منفعة.

♦ الكناية : وسيلة لإفهام السّامع وتقريبه من الأطروحة وذلك بإيراد بعض الحجج على شكل كناية ليصل إلى أهدافه الحجاجيّة.

مثال:" إن أصحاب الفلسفة .... طرحوا الشوك في الطريق" ليبيّن الصعوبات أمام من يريد السير في طريق الفلسفة.

♦ الاستعارة: الاستعارة أقوى حجاجيّا من الأقوال العاديّة .

مثال:" الغنيّ الطبيعيّ لا يحتاج إلى شيء وان كان قليل المال أي الذّي ملك نفسه وقمع شهواته وأخمد لهب إرادته " ويرد القول الاستعاريّ في أعلى درجات السلّم الحجاجي.

♦ الإيجاز: بغرض دفع الملل والسآمة استمالة للوزير وتأثيرا فيه.

مثال: قال " فلماّ بلاغة الشعر فأن يكون نحوه مقبولا, والمعنى من كلّ ناحية مكشوفا , واللفظ من الغريب بريئا والكناية لطيفة والتصريح احتجاجا" فكلّ حجّة هي اختصار لجمل وأقوال كثيرة.

♦ الطباق والجناس: المحسّنات البديعيّة هي الأخرى يمكن أن تؤدّي وظيفة حجاجيّة .

مثال:" وكلّ هذا راجع إلى نسبة صحيحة أو فاسدة وصورة حسناء أو قبيحة و تأليف مقبول أو ممجوج وذوق حلو أو مرّ"

بنيت الفقرة وفق ثنائيّات تقوم على الطباق ويمكن اعتبار كلّ ثنائيّة بمثابة حجّة لدغم أطروحة أنّ الشعراء متباينون في التعبير عن الأفكار.

مثال: " وهذا بيان نافع في كذبهم ,وإنما جاؤوا إلى وهي فرقعوه والى حرام بالعقل فأباحوه ,والى خبيث بالطبع فارتكبوه..." الجناس ورد لغاية حجاجيّة وليست تزيينيّة لإقناع المتلقي.

♦ القياس الخطابي: آليّة من آليّات الذهن البشري تقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة للوصول إلى استنتاج ما .فالقياس الخطابي إذن قياس مضمر يقوم على الاحتمالات لهذا فالمتكلّم عادة ما يخفي المقدّمتين ويظهر النتيجة .

مثال: يقول التوحيدي: أنشد أبو عبيد الكاتب يقول: العلم يجلو العمى عند قلب صاحبه* كما يجلو سواد الظلمة القمر

♦ الشاهد والمثل : من الحجج الجاهزة التّي يستعملها المتكلّم للوصول إلى أهدافه الحجاجيّة وينقسم الشاهد إلى شواهد من القرآن ومن الأحاديث النبويّة ومن أقوال الصحابة والتابعين ومن الشعر .أمّا المثل فنعني به حجّة المماثلة والتوحيدي قدّم بعضها لا سيّما الأمثال التاريخيّة وكذلك الجاهزة وقوّتها نابعة من مصادقة النّاس عليها .

◄ البلاغة إذن عند التوحيدي حجاج وإقناع وليست جمالا وتنميقا وزخرفا .

ب) آليّات الحجاج اللغويّة:

♦ الروابط الحجاجيّة : مؤشّرات لغويّة تدلّ على الحجاج من قبيل : بل ,لكن,إذن,لاسيّما,حتّى,بما أنّ,لأنّ,إذا,الواو, الفاء...

وكتاب الإمتاع والمؤانسة ثريّ بهذه الروابط ك:

- الروابط المدرجة للحجج: "لأنّ" للتعليل: " البلاغة هي الحدّ وهي الجامعة لثمرات العقل لأنّها تحقّ الحقّ وتبطل الباطل "

- الروابط المدرجة للنتائج : "إذن" /لهذا/كي :"إنما الخلاف بين اللفظ والمعنى أنّ اللفظ طبيعيّ والمعنى عقليّ ولهذا كان اللفظ بائدا عن الزمان وكان المعنى ثابتا على الزمان "

- روابط التعارض الحجاجي : "لكن": تكون الحجّة الأولى أقوى من الحجّة الثانية لأنّ القول بمجمله يؤول نحو النتيجة المضادّة وهي النتيجة الضمنيّة التّي جاءت بعد الرابط "لكن".

" بل": الحجّة بعده أقوى من الحجّة قبله والنتيجة المضادة ستكون نتيجة القول برمّته.

- روابط التساوق الحجاجي: "حتّى" : القول المشتمل على هذه الأداة لا يقبل الإبطال و التعارض الحجاجي والمثال على ذلك قوله:" جعلوا بينهم شيئاينهون به عن المنكر ويرغبون في الجميل ويتجنبون به الدناءة ويحضهم على المكارم حتّى إن الرجل منهم يصف المكارم فما يبقي من نعتها شيئا" فالحجج كلّها الواردة قبله أو بعده تخدم نتيجة ضمنيّة واحدة.

" الواو": تعمل للربط بين الحجج لا يقتصر عملها على الربط النحويّ بل لها وظيفة حجاجيّة.

♦ العوامل الحجاجيّة : تقوم العوامل الحجاجيّة بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجيّة التّي تقول لقول ما : نجد:

" ربّما" : اختيار الحجج يتعلّق بالمقاصد التّي يريد الشاعر بلوغها .

" لا ....إلا": قول السيّرافي لمتّى :فكأنّك تقول لا حجّة إلا عقول اليونان ولا برهان إلا ما

وصفوه ولا حقيقة إلا ما أبرزوه"

♦ السلّم الحجاجي : وهو ترتيب الحجج عموديا من الحجّة لضعيفة إلى الحجّة القويّة في فئة حجاجيّة واحدة.

مثال:ألا ترى أنّ التشادق والكذب والخداع فيها أكثر وليس كذلك الحساب والتحصيل والاستدراك"(يعني البلاغة)

ابن عبيد يريد أن يحطّ من قيمة البلاغة على الحساب فأورد حججا مرتّبة ترتيبا عموديّا بدءا بالضعيفة وصولا إلى الأقوى.

وقد استعمل التوحيدي السلّم الحجاجي في أغلب لياليه لاستمالة الوزير والتأثير فيه.

♦ الأفعال اللغويّة: الأمر والنهي والاستفهام :

- الاستفهام: الاستفهام الحجاجي يحمل افتراضات ضمنيّة, قال:" فأين الدين من الفلسفة؟وأين الشيء المأخوذ بالوحي النازل من الشيء المأخوذ بالرأي الزائل؟" فالاستفهام هنا حجّة تخدم نتيجة أن الشريعة أرفع شأنا من الفلسفة .

- الأمر : انجاز ضمنيّ يهدف إلى توجيه المتلقّي إلى سلوك معيّن قال :" قال الوزير: تكلّم في هذا الباب بشيء يكون غير ما قاله العامريّ..." "تكلّم" حجّة تخدم نتيجة ضمنيّة من قبيل أنّ ما قاله العامريّ على القدر والجبر غير واضح.

- النهي : فعل يستعمل للسيطرة على ذهن المتلقّي .

♦ تقنية التكرار : أسلوب حجاجيّ يخدم الأطروحة ويشمل في الإمتاع والمؤانسة تكرار الروابط الحجاجيّة , تكرار الألفاظ...وله وظيفة الاتّساق والانسجام الحجاجي.

☺